بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة منقحة، بعنوان: (إنَّ من الشجر شجرةً لا يَسقط ورقُها...)

حديث تشبيه المسلم بالنخلة

(خمسون مبدأً تربويا ملهما؛ لبناء الإنسان الصالح)

سبْق النبي (ﷺ) إلى ابتكار أرقى الأساليب التربوية الرشيدة

فن السؤال وآثاره المثمرة والبناءة في التربية النبوية

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٨ صفر ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠٢٥م

معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه وأشكره، نرجو رضاه ورحمته، ونخشى عذابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الفوز في اتباع منهجه العظيم، والهداية في اتباع رسوله الكريم، والرحمة في التمسك بسنته (ﷺ)، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، بعثه الله رحمةً للعالمين، ومُرَبِّيًا ومعلِّمًا للناس أجمعين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الغُرّ الميامين، وعلى مَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد... أيها المؤمنون:

حديثنا اليوم أيها السادة يدور حول التربية النبوية، وهو موضوع عظيم الشأن، جليل القدر، بالغ الأهمية، ومنهج النبي الأعظم (ﷺ) في التربية والتعليم والتهذيب والنصح والإرشاد والدعوة، وبناء الإنسان، من الأهمية البالغة بمكان؛ ذلكم المنهج الذي لم يقتصر على الكلام **ولا على الفلسفات الجدلية العقيمة، كلا؛ بل إنه كان تربيةً شاملةً للنفوس، وتهذيبًا للقلوب، وتقويمًا للسلوك، وغرسًا للقيم، وصناعةً للرجال والأبطال، وصياغةً للحياة وفق منهج الله تعالى**، فضلا عن بناءً للأمة الملاحمة المتراحمة العادلة القوية المهيبة والمهابة، التي لا تخشى أحدا إلا الله، ولا تعتدي على أحد من خلق الله، بل إنَّ كلَّ المسالمين غير المعتدين يعيشون في رحابها وفي كنفها وفي معيتها وفي ظلالها في وئام وسلام وأمان ومودة واستقرار... ولقد كان التاريخ الإسلامي في عصور حضارتنا الزاهرة، شاهد عيان على ذلك... قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ..) (آل عمران: ١١٠)، فخيرية الأمة نابعةٌ من ثلاثة محددات أساسية، وهي:

الأول: الإيمان بالله

الثاني: الأمر بالمعروف

الثالث: النهي عن المنكر

ورسولُنا الكريم (ﷺ) هو الذي علّمنا ذلك، وربّانا على ذلك، بأرقى الطرائق، وأجمل الأساليب التربوية، كما سيتضح في المحاور التالية.

- ربَّى النبيُّ العظيم (ﷺ) أصحابَه بسلوكه وقدوته قبل كلمته.
- وربَّاهم أيضا بالكلمة الطيبة الصادقة ذات الأصول الطيبة الثابتة والفروع الجميلة المزهرة المثمرة المظللة التي تمتد في السماء.
- وربَّاهم بالمواقف العملية والأحوال المؤثرة.
- وربَّاهم بأرقى الأساليب التربوية الرشيدة؛ فحوَّلهم من أقوامٍ متناحرين متصارعين غير هانئين بالأمن والأمان والسلام، إلى أربابِ تسامح وتسامي، وسلمٍ وسلام ووئام، وحولهم بفضل الله من جماعاتٍ متفرقة متشتتة إلى قادةٍ حملوا مشاعل النور، وأمانةَ الرسالة، وواجب التبليغ، فأضاءوا الدنيا بالعلم والإيمان.

وسبحان الله! ما أعظم عطاءات هذه المدرسة النبوية الشريفة الخالدة، التي لا يخبو سناها ولا يغيب إشعاعها، ولا ينقطع عطاؤها، ولا ينضب معينها... إنها مدرسةٌ ممتدةُ العطاء، دائمةُ الإمداد، ولا ريب في أن حاجة الأمة إليها اليوم أشدّ من أي وقتٍ مضى، في ظلّ التحديات والانحرافات والشبهات التي تحيط بشبابنا وأجيالنا من كل مكان؛ ومن فضل الله (سبحانه وتعالى) علينا أنه كلما تباعد الزمان بيننا وبين رسولنا الأعظم ازددنا حبًّا له، وشوقًا إليه، وحاجةً إلى منهاجه الأخلاقي والتربوي العظيم.

ومن هنا كان لزامًا علينا أن نستضيء بهدي النبي (ﷺ)، فنستلهم منهجه في التربية؛ لننير به قلوبنا، ونصلح به بيوتنا، ونبني به مجتمعاتنا، فتعود الأمة كما أرادها الله: أُمة الخير.. شاهدةً، رائدةً، ناهضةً، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

أعظمُ المُربّين

سبْقُ النَّبي إلى ابْتكارِ أرْقى الأساليبِ التَّربوية الرَّشيدة

لم يتزيَّنِ التاريخُ الإنساني المديدُ بأحدٍ أعلمَ ولا أحكمَ من سيدِنا محمدٍ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)؛ فقد جمعَ إلى سَعةِ العلم، وبديعِ الفهم، وفنونِ المعرفة؛ حُسنَ الخُلُق، ولُطفَ التعامل، والرِّفقَ في التربيةِ والتعليم، والتواضُعَ للمُتعلمين.

ولما كانت رسالةُ الإسلامِ عالميةً وخاتمةً للرسالات وجاءتْ للدنيا كلها، فقد كانت أساليبُ النبيِّ العظيم، وطرقُه في التربية، والتعليم، والدعوة، والإرشاد، والتهذيب؛ هي الأخرى عالميةً تُناسب عالميةَ الرسالة والرسول وخاتميتها، وتتَّسق مع صلاحيتِها لكلِّ زمانٍ ومكان وحال.

ولقد حرصَ النبيُّ العظيم (ﷺ) على الاهتمام بشتى عناصرِ العمليَّةِ التَّربوية والتَّعليمية: المتعلم، والمعلم، والرسالة، والطرائق، والوسائط، والأنشطة، والبيئة التعليمية المحفزة... وكانت إشاداتُه بمكانةِ طالبِ العلمِ والعلماء بمثابةِ رَفع الدافعيَّة لديهما، والإشادة بصَنيعِهما.

قال (ﷺ): (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[1].

سبق نبوي تربوي مبكر:

سبَقَ النبيُّ (ﷺ) العالمَ والحضارات في استخدامِ أرقى استراتيجياتِ التعليم، وأفضلِ طُرُقه، وتَطبيقها قبلَ العالم بمئات السنين، ولِمَ لا وهو الذي أرسلَه اللهُ (تعالى) بدستور دَساتير التربية الرَّشيدة؛ وهو الوحي الشريف (القرآن العظيم– والسنة المشرفة).

ولقد منحه الله فهما عميقًا بطبيعة النفس البشرية وظروف الناس وأحوالهم المختلفة، فكان يراعي قدراتهم، ومواهبهم، وإمكاناتهم، ومواقفهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية... ومن ثم يصوغ خطابه وأسلوبه بما يتناسب مع كل فرد أو مجموعة، حتى يكون التعليم والتربية عملية فعّالة ومؤثرة ومثمرة، وبانية...

فاعتمد (ﷺ) في منهجه التطبيقي مَنهجيّات التربية الرَّشيدة، وأساليبها المتنوعة والمبتكرة، والتي يصفها الباحثون اليوم بأنها: "أساليب حديثة وفعّالة"، فكان نهجه جامعًا بين العلم والإيمان، العمل والإتقان، الرحمة والجدية، فلا يُغفل جانبَ اللطف والرفق في التعامل مع النفوس، وفي الوقت نفسه يُحافظ على الحزم والانضباط عند الضرورة.

ومن أبرز هذه الأساليب:

١. **رفع الدافعية لدى المتعلّم:** فكان (ﷺ) يحفّز أصحابه، ويذكرهم بفضل العلم، والعمل الصالح لتحفيزهم على التعلم المستمر، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ..) (المجادلة: ١١).

(١) أخرجه الإمامان: أبو داود، وابن ماجه.

٢. **مراعاة الوقت المناسب والظرف والمكان المناسبين للتعلم: فقد** كان (ﷺ) يختار الوقت المناسب، وكذا الظرف والمكان المناسبين للتعليم والتربية وتوجيه النصائح.

٣. **مراعاة تنوع البيئات:** كان (ﷺ) يُعلِّم الصحابة في المسجد، وفي السفر، وفي البيوت، ويصوغ أسلوبه حسب مقضيات الموقف وحال الإنسان وعلى حسب الظروف والسياق.

٤. **مراعاة اختلاف قدرات الناس:** كان يُعلم الكبير والصغير، القوي والضعيف، الرجل والمرأة، فمثلاً كان ييسر المفاهيم لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حين كان صغيرًا، ويعطي تفصيلات أعمق وأوسع للصحابة الكبار.

٥. **تفريد التعليم:** فالبشر ليسوا على نمط فكري واحد، بل إن كل شخص كان له أسلوب، فقد كان يواسي المرأة بالرفق، ويشد على الرجل بالنصيحة المباشرة، ويخاطب الأطفال بالقصص وبما ينساب عقولهم وفهومهم.

ومن أساليبه التربوية الفريدة:

- **التربية بالرفق**: ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث مع الأعرابي الذي بال في المسجد؛ إذ لم يوبخه النبي (ﷺ)، بل وجَّهَه برفق، وأمر الصحابة باللين معه، فكان في ذلك درسًا بليغًا يبين أن الرفق أعمق أثرًا في تقويم السلوك من الشدة والعنف.
- **التربية بالتواضع**: فقد كان النبي (ﷺ) يجالس الصغير والكبير على حدٍّ سواء، لا يستعلي على أحد، بل يشاركهم مجالسهم، ويأنس بهم، ويؤنسهم، ويُشعِر كلَّ من يجلس معه بالقرب والاهتمام، فكانت التربية بالتواضع درسًا بليغًا، وأثمرت ثمراتٍ عظيمة في النفوس والسلوك...
- **التربية بالحوار الهادئ المقنع**: فقد كان النبي (ﷺ) يحاور الناس بالحجة والبرهان، ويعتمد أسلوب الشورى والمناقشة والحوار الهادي الهادئ الهادف، موضحًا لهم الحقائق بأسلوب لطيف، فيرسخ المعنى في نفوسهم، ويجعلهم يقتنعون بالحق عن قناعة.
- **التربية بالحب**: فقد كان النبي (ﷺ) يُظهر محبته للصحابة، فيدعمهم في مهامهم، ويثني عليهم، ويدعو لهم، وكان كل واحدٍ منهم محل عناية خاصة منه، فكان للحب أثره العميق في غرس الثقة والطمأنينة في قلوبهم.
- **التربية بحسن المعاملة والرحمة**: كان النبي (ﷺ) يعامل الناس عمومًا، والضعفاء واليتامى والصغار خصوصًا بغاية الحنان والعطف، فيحتويهم برحمته، ويغرس في نفوسهم الشعور بالأمان، ويحفزهم على التعلم والعمل، فكانت أبلغ وسائل التربية وأعمقها أثرًا.
- **التربية بالتشبيهات اللطيفة**: فقد استخدم النبي (ﷺ) الأسلوب التصويري المؤثر، فمثلا: شبَّه المسلم بالنخلة، لما فيها من ثباتٍ، وعطاءٍ، وخيرٍ دائم؛ ليقرّب المعنى إلى الأذهان، ويغرس القيم في القلوب ببيان بليغ.
- **التربية بالمداعبة**: فقد كان النبي (ﷺ) يلاطف الصغار عمومًا، ويلاعب الحسن والحسين (رضي الله عنهما) خصوصًا، ليعلمنا الرحمة، ويغرس في نفوس الصغار المعاني التربوية بطريقة مرحة محببة، تربطهم به وبالرسالة التربوية المقصودة.
- **التربية بتناسق العبارات والسجع الحسن**: وهو أسلوب نبوي بليغ، ظهرت أمثلته كثيرا، حيث كان كلامه (ﷺ) موزونًا سلسًا، يسهل حفظه وفهمه وترديده، ومن ذلك قوله (ﷺ): (كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ) [٢].

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- **التربية بالتمثيل والصورة الجميلة**: كان النبي (عليه الصلاة والسلام) يضرب الأمثال العملية المؤثرة، ويقدّم الصور البلاغية الجميلة، لتقريب المعاني إلى الأذهان، وتثبيتها في القلوب.

التربية بالاستفهام وإثارة الانتباه: كان يسأل الصحابة، أسئلة متنوعة، ومن ذلك، قوله (ﷺ): (أَتَدرونَ مَن المُفلِسُ) [٣]؛ ليثير الاهتمام والتفكير والمشاركة.

- **التربية بالوسيلة التعليمية**: استخدم أشياء من الحياة اليومية، مثل: العود من الخشب،... لتقريب المعنى وتثبيته.
- **التربية باغتنام المناسبة**: ومن ذلك أنه (ﷺ) لما رأى غلامًا يأكل من كل جوانب الصحفة، استثمر الفرصة وعلّمه، وعلَّم المسلمين من خلاله... فعن عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه)، قال: "كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقالَ لِي رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): (يا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ) فَما زَالَتْ تِلكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. [٤] فكان الموقف العملي مناسبة لغرس آداب الطعام في نفس الغلام، وفي عموم جماهير الأمة...
- **التربية بالقصة**: ومن ذلك:
  - قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فكانت درسًا بليغًا في التوسل إلى الله (تعالى) بالعمل الصالح.
  - وقصة الرجل الذي قتل مائة نفس، والتي تدل على أن باب التوبة مفتوح مهما عظمت الذنوب ما عدا الشرك.
  - وقصة أصحاب الغار، التي تُجسّد قيمة الصدق والإخلاص والأخوة والشجاعة والشهامة في الشدائد.
  - وقصة أصحاب الأخدود، التي تغرس معنى الثبات على العقيدة أمام الطغيان.
  - وقصة جريج العابد، التي تبين أثر برّ الوالدين ومقام الاستجابة لدعائهما.
  - وقصة الرجل الأبرص والأقرع والأعمى، التي تؤكد أن شكر النعمة سببٌ لدوامها.
  - وقصة المرأة التي حبست القطة، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فاستحقت العذاب.
  - وقصة الرجل الذي سقى كلبًا، فغفر الله له وشكر له وأدخلة الجنة...

  وغيرها من القصص التي جسدت المنهج النبوي في التربية والتعليم والدعوة والتهذيب.
- **التربية بتغيير الهيئة**: فقد كان النبي (ﷺ) يغيّر من هيئة جسده، وتعبيرات وجهه، وينوّع في نبرات صوته، فيرفع صوته أحيانًا ويخفضه أحيانًا أخرى بحسب الموقف، ليُحدث التأثير النفسي المطلوب، ويشد انتباه السامعين، فيرسخ المعنى في قلوبهم وعقولهم ووجدانهم.
- **التربية بالتكرار**: هو أسلوب نبوي فعّال، إذ كان النبي (ﷺ) يكرّر الكلمة أو العبارة حتى تترسخ في النفوس، كما في وصيته الجامعة: «لا تغضب»، التي كرّرها مرارًا لتؤكد أهمية كظم الغيظ وضبط النفس.
- **التربية بإظهار الغضب والانفعال عند الحاجة**: فحين طلب أحد الصحابة الشفاعة في حدود الله (تعالى)، أظهر جدية الموقف بالغضب الرمزي؛ ليبيّن خطورة الموقف، ويغرس في نفوسهم عِظم المخالفة، فيكون ذلك أبلغ في التربية والتعليم من مجرد القول الهادئ.
- **التربية بإجابة السائل بما يناسب إمكاناته العقلية**: هو منهج نبوي رفيع، حيث كان النبي (ﷺ) يجيب كل سائل بما يلائم إدراكه وفهمه ومستواه الفكري، فيقرّب المعنى للصحابة، وييسّره للأعراب، ويوسّعه لأهل الحضر وأهل الخبرة، فكانت إجاباته تتنوع بحسب حال السامع، مما جعل التعليم أكثر رسوخًا وأعمق أثرًا.
- **التربية بالتخول (التعهد بالموعظة)**: حيث كان يختار الوقت المناسب للتربية والتعليم والشرح والبيان، والمدة المناسبة (تقصيرا أو تطويلا) للدرس.

---

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والترمذي، وأحمد واللفظ له.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- **التربية بالقدوة** [٥]: فقد كان (ﷺ) قدوةً ومثالًا ونبراسًا في كل شيء، ومع كل الناس، وفي كل حال، فالتربية بالقدوة أعمق أثرًا من مجرد الكلام.

أنموذج من التربية النبوية:

كان النبيُّ (عليه الصلاةُ والسَّلام) يراعي الفروقَ الفَردية بين الناس، ويُراعي حالَ السائل، وطبيعةَ بيئتِه، ونمطَ شَخصيتِه، وطبيعةَ تكوينه وثقافته، وما يَصلح له، وما يصلح به، وما يُصلحه... انظر للمثالين التاليين، السؤال واحد، بيد أن الإجابة مختلفة:

- ذهب أبو ذرّ الغفاري (رضيَ اللهُ عَنْه) للنبي (ﷺ) وقال له: **أوصني يا رسولَ الله**، فقال له النبيُّ العظيم: (اتَّقِ اللهَ حيثما كُنْتَ، وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحَسَنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُق حسَن)[٦].
- وجاءه رجلٌ فقالَ **أوصني يا رسولَ الله**، فقالَ: (لا تَغْضَبْ). فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: (لا تَغْضَبْ)[٧].

وهنا أجاب النبي (ﷺ) بإجابتين مختلفتين، على السؤال نفسه، مراعاة لحال السائل وبيئه وطبيعته...إلخ، ففي إجابته على الأول قدَّم له ثلاثيةً بانيةً للإيمان، والقيم، والتعايش...

وفي إجابته على الثاني استخدمَ النبيُّ (ﷺ) التعليمَ بالتّكرار؛ نظرًا لخطورة هذه القضية؛ ذلك أن الغضبَ قد يؤدّي إلى مشكلات، وأزمات؛ لذلك وهو يُعلم أصحابَه والمسلمين مِن بَعده كان حريصًا على تَعليمهم وتَدريبهم على كظْم الغَيظ، وعلى مجاهَدة النَّفس وضَبطها –فهي أشَدُّ مِن مُجاهدةِ العَدُوّ– وعلى البُعد عن الغضب... فعن أبي هُريرةَ (رضيَ اللهُ عَنْه): أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)[٨].

فلا تَظُنُّوا أيها الناس أنَّ الرَّجل القويَّ، هو ذلكم الذي يَتمتَّعُ بقوَّة بَدنيَّة كبيرةٍ يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين، كلا؛ ولكنه الرجلُ القويُّ في إرادتِه، القويُّ في رَحمته، القويُّ في حكمته، النبيل في تَصرُّفاته وفي الحفاظِ على علاقاته، المتحلي بأخلاق النبوَّة، القادر على التَّحكم في نفْسِه عندَ الغَضبِ وعندَ المشكلات والملمّات والأزمات، الحليمُ الكاظم غَيْظَه، المانعُ نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس.

ومن ثَمَّ فإنَّ مُقاومةَ الغضبِ وامْتلاكَ النَّفسِ عند وُقوعِه تعدُّ مِن فضائل الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي يُثابُ عليها الإنسان.

وهنا تأتي أهميةُ التربية على كظم الغيظ، ومن ثم المسارعةِ إلى مَغفرة الله بمقوّماتها الواردة في قولِ الحقّ (سبحانه وتعالى): (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (آل عمران: ١٣٣-١٣٦).

أهمية السؤال في التربية والتعليم:

هناك أساليب وطرائق واستراتيجيات تربوية متعددة ومتنوعة، –وهو علم كبير– ولكل منها استخدام باجراءات، ومن بينها فن السؤال ومردوده التربوي... والسؤال أيها القارئ الكريم يُنمّي الفضول العلمي، ويحفّز الشخص على حُبِّ الاستطلاع واكتشاف المجهول ومعرفة الجديد، كما يساعده على بناء الثقة بين المربي والمتربي، إذ يعطي المتعلم إحساسًا بأن صوته مسموع وأنه شريك فعّال في العملية التربوية.

---

(٥) راجع ذلك مفصَّلًا في: موسوعة السيرة النبوية في ثوبها الجديد (٢): السيرة النبوية اليسيرة، للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني، مكة المكرمة: أوقاف السلام، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، ص ٧٩٠-٧٩٨.

(٦) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند برقم٢١٤٠٣ وهو: حسن لغيره.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

والسؤال يُعلّم التفكير النقدي، فيدرّب العقل على التمييز بين الصواب والخطأ، والدليل والشبهة، ويفتح أبواب الحوار بين الأجيال، فيربط التلميذ بالمعلّم والابن بالوالد، ويجعل عملية التربية حوارية وليست أوامرية... والنفس البشرية **تأنف** من الأوامر، **وتألف** الحوار والتحفيز والمشاركة، وكلها مكنونة في منهجية السؤال.

كما يربّي فن السؤال على الدقة والوضوح؛ لأن صياغة السؤال الصحيح تعد نصف الطريق نحو الإجابة الصحيحة، ويصبح وسيلة للتقويم الذاتي.

والسؤال قد يكون وسيلة للإصلاح، والإنسان في رحلة الإصلاح الداخلي يسأل نفسه: "هل أنا على صواب؟ هل قصّرت؟".

والسؤال أيضًا يُنمّي مهارة البحث العلمي عبر التوجه للقراءة والتدبر والتأمل والتحليل والتركيب وإعمال العقل والمقارنة والاستدلال...إلخ.

السؤال أداة أساسية لتنمية العقل والفكر، فهو يفتح أبواب المعرفة على مصراعيها، ويحوّل التعلم من تلقين سلبي إلى حوار وتفاعل... ومن خلاله أيضًا يتعلم المتعلم ويتدرب عمليا على التواضع والاعتماد على التفكير، ويزداد فضوله المعرفي، وأيضا يتدرّب عقله على التمييز بين الصواب والخطأ.

وفي حياتنا اليومية، سواء في المدرسة أو الأسرة أو مكان العمل، يساعد السؤال على تثبيت المعلومات وفهمها بعمق، ويجعل النقاش والحوار وسيلة تربوية فعّالة، ويحفّز المتعلم على المشاركة بدلاً من التلقي السلبي.

فمثلاً، عندما يسأل الأب طِفله: "كيف يمكننا توفير الماء في المنزل؟"، وهنا لا يكتفي الطفل بالإجابة الجاهزة، بل إنه يفكر، ويتأمل، ويقترح حلولًا، ويتعلّم في الوقت نفسه مسؤولية المشاركة، وتنمية دوره في حل المشكلات.

كما يكشف السؤال مستوى الفهم ويعزز مهارة البحث، ويبني الثقة بين المربي والمتربي، وهو أيضًا طريق لبناء الإيمان، قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، فأهلُ الذِّكرِ في الطبِّ هم الأطباء، وفي الفقهِ هم الفقهاء، ولا يُغني أحدُ التخصّصَين عن الآخر؛ فلا الطبُّ يُغني عن الفقه، ولا الفقهُ يُغني عن الطب.

غير أنّ هذه العلوم الكونية والتجريبية والإنسانية –عند التأمل فيها– فإنها تُعمّق الإيمان، فالطبيبُ –على سبيل المثال– حين يُشاهد بدقةٍ وإبداع وإتقان وإحكام وإعجاز خلقَ الجهاز الدوري، والجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، والجهاز التنفسي، وكيفيةَ تناغم أجهزة الجسد المختلفة مع بعضها البعض: من قلبٍ، وكبدٍ، وكُلى، وبنكرياس، ورئتين... إلخ، يرى عظمة الإعجاز الإلهي المبهر والمدهش والمذهل، فيزداد إيمانُه، ويمكّن أن يُنشَر هذا المعنى في كل مكان.

فن السؤال في التربية النبوية ومردوده الإيجابي:

لقد كان سيّدُنا محمدٌ (ﷺ) المعلِّمَ الأولَ لحضارة المسلمين، وإذا أمعنّا النظر في سيرته العطرة، وجدنا أن من أساليبه التربوية: طرح الأسئلة على أصحابه أو استقبالها منهم؛ إذ لم تكن أسئلته لمجرد الاستفهام، بل كانت مدخلًا رفيعًا لتحريك العقول، وإشعال القلوب، وإشغال الذهن بقضية السؤال، وإيصال المعاني والمضامين والرسائل التربوية في صورةٍ أعمقَ أثرًا، وأقربَ إلى النفس، وأثبتَ في الوجدان...

لقد اعتمد النبي (ﷺ) على الأسلوب الحواري القائم على السؤال والجواب، فجاء منهجه موافقًا للفطرة الإنسانية، ووسيلةً فعالة لترسيخ المفاهيم، وتنمية الفكر، وإشراك المتعلِّمين في عملية الفهم والبناء، حتى صارت كلماته دروسًا حيّة تتجاوز حدود الزمان والمكان، وستظل نابضة بالإمداد والعطاء والتوجيه للمسلمين وغيرهم إلى يوم الدين..

ولقد استهدف النبي (ﷺ) من طرح الأسئلة واستخدام هذه المنهجية بكثرة، تحقيق عدد من الأهداف التربوية، منها:

- **إثارة الانتباه**: ذلك لأن السؤال –كما أشرنا– يلفت النظر، ويُشَغِّل العقل، ويُشعل جذوة الفكر، ومن ثمَّ يمهّد الشخص للجواب السديد.

- **تحريك التفكير**: يدفع السامع للبحث عن المعنى، بجدية وهمة وإصرار، بدلًا من التلقين.
- **ترسيخ المعلومة، والإسعاف في استدعائها**: فما يُفهم عبر سؤال وحوار ونقاش، يبقى أثره أطول في الذهن، وأسرع وأسعف في الاستدعاء عند الحاجة.
- **تصحيح المفاهيم**: يتيح كشف الأخطاء المنتشرة ثم إعادة بناء التصور الصحيح في الذهن.
- **مشاركة المتعلم**: فيشعر المتعلِّم أنه شريكٌ حقيقي في العملية التربوية، لا مجرد فردٍ عادي يجلس في صفوف المتلقين، فالإنسان بطبعه إذا سمع سؤالًا توقّف ذهنه ليفكر: ما الجواب؟ حتى إذا جاءه البيان، ترسّخ المعنى في عقله وقلبه معا.

➢ أما عن **أنماط الأسئلة النبوية**، فكانت متنوعة ومتعددة، منها: (أسئلة تعريفية، وثانية تقويمية، وثالثة تنبيهية، ورابعة لاستثارة للعقل وشحذ الفكر، وخامسة أسئلة عملية حياتية،....). والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب السنة والسيرة.

نماذج من أسئلة النبي (ﷺ) للصحابة، والعكس:

١. السؤال عن المفلس الحقيقي

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟) قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: (إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتِي يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتِي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ)[٩].

٢. السؤال عن الكبائر

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟) ثَلَاثًا، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: (الإشْرَاكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ- أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ)، قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[١٠].

٣. السؤال عن محور صلاح الإنسان وفساده

عن النعمان بن بشير (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (...أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ)[١١].

٤. السؤال عن الغيبة

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟) قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: (ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ). قيلَ: أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: (إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ)[١٢].

٥. السؤال عن المعيار النبوي في تحديد من هو الشهيد

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟) قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، قالَ: (إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذنْ لَقَلِيلٌ)، قالوا: فمَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: (مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في الطَّاعُونِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في البَطْنِ فَهو شَهِيدٌ) (١٣).

٦. السؤال عن المعيار النبوي لخيرية المسلم

عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) أن رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ (ﷺ) أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قالَ: (مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ) (١٤). وكما كان يطرح الأسئلة، كان يحب أن يسأله الصحابة، للعلم والتعلم.

٧. السؤال التوبيخي الاستنكاري

عندما سرقت المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ، وذهب بعض أقاربها إلى أُسَامَة بنُ زَيْدٍ، حِبّ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، ليكلمه في العفو عنها، فَكَلَّمَ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ)، فتساءل النبي مستنكرا ذلك ومعاتبا أسامة: (أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ)، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: (يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما ضَلَّ مَن قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فيهم أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ، لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا) (١٥).

٨. من أسئلة سيدنا جبريل لسيدنا رسول الله

عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) قال: حدَّثَنى أبي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قالَ: بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ (ﷺ) ذاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيّ (ﷺ)، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ.

وَقالَ: يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ.

فقالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ): (الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ (ﷺ)، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلًا)، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ.

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ

قالَ: (أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ)، قالَ: صَدَقْتَ.

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإحْسانِ

قالَ: (أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ)

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ

قالَ: (ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)

قالَ: فأخْبِرْنِي عن أمارَتِها

قالَ: (أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ).

قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي رسول الله (ﷺ): (يا عُمَرُ أتَدْرِي مَن السَّائِلُ؟) قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: (فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) (١٦).

٩. السؤال عن النجاة

وعندَما سأله عقبةُ بنُ عامر الجُهنِي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): يا رسولَ اللهِ ما النَّجاةُ؟، فقال له (ﷺ): (أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليَسعْكَ بيتُك، وابكِ على خَطيئتِكَ) (١٧).

---

(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٧) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

١٠. السؤال عن المفاضلة بين الأعمال

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أنَّ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) سُئِلَ: أيُّ العَمَل أفْضَلُ؟
فَقالَ: (إيمَانٌ باللَّهِ ورَسولِهِ).
قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ)
قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: (حَجٌّ مَبْرُورٌ).

١١. السؤال عن أحق الناس بالبر

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: (أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أبُوكَ) (١٨).

وهذه الأسئلة –السالفة– التى وجهها النبى للصحابة أو وجهت له، قليل من كثير في سيرته وسنته (ﷺ).

وهكذا كان النبى (ﷺ) يعلّم أصحابه من خلال الأسلوب الحواري الراقى، ويزرع المعنى في نفوسهم بعد أن تتهيأ قلوبهم له. وكانت أسئلته (ﷺ) أيضًا مرتبطة بالواقع اليومى، نافذة إلى القلوب لتربية الضمائر، ولم يكن يوجّه أسئلته من موقع العالِم المتسلّط، بل من موقع المربي الحكيم الذي يحترم عقول أصحابه. فكان (ﷺ) يُنعم في الإجابة عن أسئلة الصحابة ويشركهم في الحوار، ويتيح لهم فرصة التفكير، وربما يخطئ أحدهم في الإجابة، لكنه لا يوبخه، بل يوضح له الأمر الصحيح برفق ولين ورحمه، وهذا أرقى ما يكون من التربية التى تقوم على المشاركة لا على الإملاء.

وهكذا نلمس أن النبى (ﷺ) استخدم السؤال باعتباره أداةً لإيقاظ العقول، وتصحيح المفاهيم، وربط المعانى بالواقع.

لقد كان المنهج النبوي في التعليم بالأسئلة **منهجًا إنسانيا يربى على التواضع** حين يقول (ﷺ) لمن سأله عن موعد الساعة (القيامة): (...ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ...) (١٩)، وحين يقول الصحابة: «الله ورسوله أعلم»، فيتعلّمون ردّ العلم إلى أهله. **ويربى على التفكير الحر** حين يترك لهم مساحة للتأمل قبل أن يبيّن الجواب. **ويربى على قوة الحفظ والنقل**، إذ يسهل تداول السؤال والجواب بين الأجيال.

وبذلك يمكن القول: إن إكثار النبى (ﷺ) من الأسئلة لم يكن مجرد أسلوب عابر، بل كان مدرسة تربوية متكاملة، تمزج بين التشويق والإقناع، بين العقل والوجدان، بين النظرية والواقع، وتبقى صالحة للدعاة والمربين في كل زمان ومكان.

رمزية السؤال عن النخلة في التربية النبوية

دلالات السؤال النبوي وأبعاده الإيمانية والأخلاقية والتربوية

عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أنَّ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟).
فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَادِيَةِ، ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ.
قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ.
فَقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أخْبِرْنَا بهَا؟
فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): (هي النَّخْلَةُ).
قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أبِي بما وقَعَ في نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أحَبُّ إلَيَّ مِن أنْ يَكونَ لي كَذَا وكَذَا (٢٠).

(١٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٩) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.
(٢٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وفي هذا الحديثِ يَروي لنا عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ (رَضِيَ اللهُ عنهما) أنَّ النبيَّ (ﷺ) جلس مع الصحابة الكرام، وألقى عليهم سؤالَه العجيب: (إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟) انطلقت أفكارهم إلى ما ألفوه من أشجار الصحراء، فراح كلٌّ منهم يذكر نوعًا من أشجارها التي تخرج في البوادي، وظلّوا يتأملون ويجتهدون، لكنهم ذهلوا عن النخلة –أي غَفَلوا، أو سَهَوا–، تلك الشجرة المباركة الوارفة، رمز العطاء والبركة، التي أراد النبي (ﷺ) أن يربط بها المسلم الحق: طيب الأصل، كثير العطاء، جميل الثمر، دائم النفع، لا يزول خيره في كل حال.

وهذا الحديث الشريف مدرسةٌ تربوية عظيمة، يكشف لنا كيف ربَّى النبي (ﷺ) الصحابة، وكيف كان يحترمهم، ويحترم عقولهم وآراءهم، وكيف استثمر المواقف اليومية في غرس المعاني في القلوب والعقول والنفوس.

سطوة الحياء: ماذا نتعلم من سكوت ابن عمر عن النخلة؟

سبحان الله المعطي!، فقد فتح الله تعالى بالجواب الصحيح لعبدِ الله بن عمر (رضى الله عنهما) أنَّها النخلة.

لكنَّه –وهو الفتى الذي تربى في مدرسة النبوة– استحيا بسطوة الحياء أن يُفصح عمّا جاش بصدره وجال بخاطره، توقيرًا لأكابر الصحابة الحاضرين الذين لم يعرفوا الجواب.

وهنا تتجلّى المفارقة العجيبة: الجواب حاضر في قلب الفتى وفي عقله، لكنه محجوب بسطوة الحياء، وهيبة الكبار، واحترامهم، حتى جاء البيان النبوي الشريف: (هي النَّخْلَةُ)، ويا له من شاب جليل وقور!.

- لم يتكلم عبد الله (رضى الله عنهما) لوجود كبار الصحابة، فقد استحيا أن يسبقهم، وهذا يُعلِّمنا التواضع واحترام ذوي الفضل.

ولم يلبث عبدُ الله بنُ عمر (رضى الله عنهما) أن قصَّ على أبيه ما وقع في نفسه، فقد وقع الجواب في قلبه أنّها النخلة، لكنه استحيا أن يذكره بين يدي كبار الصحابة.

عندها التفت إليه الفاروق عمر (رضى الله عنه)، وقال كلمته الخالدة: [لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَنْ يَكونَ لِي كَذَا وكَذَا]، أي لأن تكون قلتها وأخبرتَ رسولَ الله (ﷺ) أنها النخلة، أحبُّ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا، وفي رواية ابن حبان: [أحسبه قال: حُمر النَّعم].

ويا له من مشهد مهيب! أبٌ عظيم يتمنى أن ينطق ابنه بالعلم بين يدي سيدنا النبي (ﷺ)، لا طمعًا في دنيا فانية، وإنما رجاءً في دعوة نبوية تفتح له أبواب الخير وآفاق البركة، كما نالها عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) حين دعا له النبي (ﷺ) بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل.

لقد تمنى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن يرى على ولده عبد الله ثمرة العلم والفهم منذ الصغر، ليكون له في الكبَر الريادة والمكانة السامقة، ولتُشرق عليه أنوار البركة النبوية التي لا تُقدَّر بثمن.

وهكذا نلمس بوضوح عظمة هذا الموقف التربوي؛ فالأب يُشجّعه على ألا يفوّت فرص العلم، ويُعلّمه أن بركة الدعاء النبوي أعظم من كنوز الدنيا، حتى من حُمر النَّعم التي كانت أنفس أموال العرب.

العلاقة بين النخلة المسلم، ولماذا هذه الشجرة بالذات؟

لم يكن اختيار النبي (ﷺ) للنخلة دون غيرها من الأشجار أمرًا عابرًا؛ بل كان اختيارًا مقصودًا، يحمل دلالات تربوية وإيمانية وأخلاقية ورمزية عميقة، جعلت من هذه الشجرة المباركة مرآةً صافية تعكس صورة المسلم الحق، ومن أوجه الشبه بين المؤمن والنخلة ما يلي:

١. **ثبات الجذور**: فجذور النخلة ضاربة في أعماق الأرض، لا تقتلعها الرياح العاتية، ولا تهزّها العواصف الشديدة، كذلك المؤمن، متعلق بربه، ثابت على دينه، راسخ في عقيدته، لا تزعزعه الفتن، بل تقويه المحن.

٢. **شموخها وعلوها**: النخلة شامخة تعانق السماء، سامقة بلا تكبّر، عزيزة بلا غرور، كذلك المؤمن، قلبه معلق بالله (جلَّ في علاه)، بل إن علوّ همته يرفعه إلى مقامات العزة، لا إلى الكبر أو الغرور حاشاه.

٣. **دوام عطائها**: النخلة لا ينقطع خيرها؛ ثمرها موجود على الدوام، تتنوع ألوانه وأشكاله وأطواره وأحواله (بلح– رطب– تمر)، وورقها لا يسقط، فهي مصدر نفع دائم، كذلك المؤمن، نافع حيثما كان، خيره موصول في السرّ والعلن، في القول والعمل، في الرخاء والبلاء.

٤. **الانتفاع بكل أجزائها**: ثمرها غذاء، جريدها وسعفها وخشبها وليفها حتى نوى البلح كلها منافع؛ فلا جزء منها إلا وفيه خير. هكذا المؤمن، بركة في حياته كلها: في علمه، في خُلقه، في عبادته، في صدقته، في صحبته، حتى كأن الخير يتفجّر من جميع جوانبه.

٥. **جمال شكلها وجلالها**: والنخلة آية في بهاء المنظر واعتدال القامة، فهي شامخة باسقة تُضفي على المكان بهجة وروحًا، وفي الوقت نفسه مهيبة الوقفة، تبعث في النفس معاني العزة والكرامة والجمال والجلال، وكذلك المسلم يجب أن يكون... وقد قيل قديما: [إن حسن الهندام عنوان الإنسان].

لقد شبَّه النبي (ﷺ) المؤمن بالنخلة؛ ليجعل صورة الإيمان مجسّدة أمام الأعين؛ فإذا نظرت إلى النخلة تذكرت المؤمن، وإذا نظرت إلى المؤمن وجدت فيه صفات النخلة: (كثرة الخير الذي لا ينقطع، وعطاء لا يزول، دوام الظل، طيب الثمر، ثبات لا يتزعزع، وشموخ لا يعرف الانكسار، وجمال وجلال وعزة ومهابة بلا استكبار،...إلخ).

وهكذا، اجتمع في النخلة ما تفرّق في غيرها: وكذلك المؤمن، خيره متجدد، عطاؤه موصول، لا ينقطع أثره ما دام حيًّا، فإذا فارق الدنيا بقيت آثاره شاهدة عليه.

وهذا الحديث النبوي الشريف ليس مجرد قصة عابرة، أو مسامرة بين الرسول وأصحابه؛ بل هو مدرسة متكاملة للتربية والتعليم والدعوة، وبناء العقول والقلوب، وكيف يربط بين السؤال، والرمز، والعبرة.

ويا لها من بلاغة نبوية في اختيار الرمز، وتقريب المعنى، ليظل السؤال عن النخلة درسًا خالدًا في التربية والتعليم والتهذيب، تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل.

عبد الله بن عمر.. حياته ومكانته ومناقبه وفرائده

يُعَدّ الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) واحدًا من كبار فقهاء الصحابة، وعلمائهم، وعبّادهم، ورمزا من رموز الإسلام عبر التاريخ.

فقد نشأ في صحبة الحبيب سيدنا رسول الله (ﷺ) ولازمه ملازمةً كبيرة؛ حتى صار من أبرز مَن روى سنته وأحرص الناس على اتباعها.

ومن خلال سيرته تتجلى صورةٌ فريدة للمؤمن الذي جمع بين: العبادة، والعلم، والورع، والزهد، والصدق، والالتزام، حتى صار قدوة للأمة.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (رضي الله عنه) في الإصابة في تمييز الصحابة:

هو عبدُ الله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل القرشي العدوي، وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ من المبعث النبوي، وأسلم مع أبيه، وهاجر وهو ابنُ عشر سنين. وقيل: تُوفّي سنة اثنتين وسبعين، وقيل: ثلاثٍ وسبعين للهجرة. وعاش سبعًا وثمانين سنة، وقيل: أربعًا وثمانين.

وقد ثبت عنه أنه كان له يوم بدر ثلاث عشرة سنة –وبدر كانت في السنة الثانية من الهجرة– وعُرض على النبي (ﷺ) المشاركة في يوم بدر فاستُصغِر، ثم عُرض عليه في أُحد فاستُصغِر كذلك، ثم في الخندق عَرَض نفسه على النبي (ﷺ) وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فأجازه.

وكان من المكثرين رواية للحديث عن سيدنا رسول الله (ﷺ)، وروى أيضًا عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ، وعائشة، وغيرهم.

وروى عنه من الصحابة: جابر، وابن عباس، وغيرهما.

أما بَنوه فهم: سالم، وعبد الله، وحمزة، وبلال، وزيد.

مناقبه:

يقول عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه): "إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبد الله بن عمر".

وقال: "مات ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل".

وفي "معجم البغوي" بسند حسن عن سعيد بن المسيب (رضى الله عنهم جميعا) قال: "لو شهدت لأَحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر".

وقال طاووس (رضى الله عنه): "ما رأيت رجلًا أورع من ابن عمر".

وأخرج ابن المبارك (رضى الله عنه) في "الزهد" عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم (رضى الله عنهم)، أن ابن عمر سُئل عن شيء فقال: "لا أدري". ثم قال: "أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورًا في جهنم تقولون: بهذا أفتى بهذا ابن عمر؟!".

وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله (ﷺ). وقيل: إنه كان أشد الناس اتقاء للحديث عن رسول الله (ﷺ).

وفي "الزهد" للبيهقي بسند صحيح عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال: سمعت أبي يقول: "ما ذكر ابنُ عمر رسولَ الله (ﷺ) إلا بكى".

وعن نافع (رضى الله عنه): كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...) (الحديد: ١٦)، يبكى حتى يغلبه البكاء.

وقيل لنافع (رضى الله عنه): ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما. وكان ابن عمر يصلى ما قُدِّرَ له، ثم يأوي إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يرجع. فكان يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا.

وعن نافع أيضًا: كان يصوم في السفر، ولا يكاد يُفطر في الحضر.

وأخرج البغوي من طريق بن القاسم عن مالك (رضى الله عنه) قال: "أقام ابن عمر بعد النبي (ﷺ) ستين سنة يقدم عليه وفود الناس".

وكان (رضى الله عنه) من أهل الورع والعلم، كثير الاتباع لآثار رسول الله (ﷺ)، شديد الاحتياط والتوقى في فتواه، وكل ما يأخذ به نفسه. وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله (ﷺ)، وكان أعلم الصحابة بما فعل النبي (ﷺ) في المناسك.

قال جابر بن عبد الله (رضى الله عنه): "ما منّا أحدٌ إلا مالت به الدنيا، ومال بها ما خلا عمرُ وابنُه"، فما كان لهما من الدنيا شيء فقد كانا زاهدين فيها، معرضين عنها.

وروى ابن وهب عن مالك (رضى الله عنهم): "بلغ عبد الله بن عمر ستًا وثمانين سنة، وأفتى في الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علماً جمًّا" (٢١).

من العبادلة الأربعة والمكثرين الستة:

لقد تأثر عبد الله بن عمر بسيدنا النبى (ﷺ) تأثرًا بالغًا، فشبّ على طاعة الله، ومحبة رسوله، والاقتداء به في كل الأمور: دقيقها، وصغيرها، وكبيرها، وجليلها.

وهو **أحد العبادلة الأربعة**: وهم: (عبد الله بن عباس – عبد الله بن عمر بن الخطاب– عبد الله بن عمرو بن العاص– عبد الله بن الزبير).

وهو **أحد الستة المكثرين** رواية للحديث عن سيدنا رسول الله (ﷺ): فقد ذكر العلماء ستةً من أصحاب رسول الله ﷺ هم أكثرُ من روى عنه الحديث، وهؤلاء هم:

- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى.
- عبد الله بن عباس.
- أنس بن مالك.
- أم المؤمنين عائشة.
- جابر بن عبد الله.
- عبد الله بن عمر.

أخلاقه وصفاته:

امتاز ابن عمر (رضى الله عنهما) بأخلاق رفيعة، من أبرزها:

١. **الورع الشديد**: فكان يتورع عن الفتوى تورعا شديدا، وقد قال حصين الأسدي معاتبا الذين لا يتورعون عن الفتوى ويتساهلون فيها، قال: "إن أحدكم ليفتى في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر" (٢٢).

٢. **الزهد في الدنيا**: ترك زخرفها وزينتها، وآثر العيش اليسير.

٣. **الصدق والأمانة**: وقد تعلم هذه الأخلاق من مدرسة النبوة.

٤. **التواضع**: عاش بين الناس يساندهم ويساعدهم ويخدمهم ويقوم على حاجاتهم.

٥. **العبادة والخشوع**: كان من أكثر الصحابة صلاةً وصيامًا وقيامًا.

علمه وفقهه وفرائده:

كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) على الرغم من صغر سنه، من كبار فقهاء الصحابة، وقد تميز بخصائص بارزة وفريدة، منها:

- الملازمة الدقيقة للنبي (ﷺ) وصحبته له، فقد لازم الرسول في حضره وسفره، وكان من أخصّ تلاميذه.
- التحري والضبط في الرواية، والحرص على العمل بالعلم.

---

(٢١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر المالكى، دار الكتاب العربي – بيروت، الجزء الثاني، ص ٣٣٣ – ٣٤١، بتصرف.

(٢٢) ابن القيم: بدائع الفوائد ط الكتاب العربي – المجلد الثالث – المكتبة الشاملة ص٢٧٦.

- كان يتتبع أماكن النبي (ﷺ) ومواقع أحداثة ليقلده فيها، مثل النزول في نفس المواضع أثناء السفر، واتباع هيئته في العبادة وغيرها.
- خدمته للإسلام بالعلم، فقد كان مرجعًا للناس في الفتوى، وملجأً لهم في النوازل، وكان يفتى بكتاب الله وسنة رسوله بلا تكلّف.
- الابتعاد عن الفتن، حيث اعتزل الفتن، وكان يدعو إلى السلم ووحدة الصف والكلمة.
- حسن العبادة، كان يصوم الدهر ويحيى الليل بالصلاة، ويكثر من قراءة القرآن والتدبر فيه.
- الإحسان للناس، فكان كريم النفس، يعتق العبيد ويطعم الفقراء، ويواسى الأرامل واليتامى.

خدمته الفريدة للإسلام

إنَّ من أعظم ما قدَّمه عبدُ الله بن عمر (رضي الله عنهما) للإسلام، يتمثَّل في إسهامه البارز في حفظ السُّنَّة النبوية المشرفة، ونقلها وتطبيقها في واقع الحياة؛ فقد كان موسوعةً حيَّةً لسنة النبي (ﷺ) وأقواله وأفعاله وتقريراته... فحمل للأمة –مع غيره– ميراثًا نقيًّا صافيًا. وكان مثالًا يُحتذى في كل خير، إذ قدَّم أنموذجًا للمؤمن الملتزم الذي جمع بين العلم والعمل، والعبادة والجهاد، والورع والدعوة.

وقد أسهم بسهم وافر في تعليم المسلمين علوم الإسلام، حتى عُدَّ من كبار علماء الصحابة الذين:

- حملوا ميراث النبوة.
- وحفظوا السُّنة وبلَّغوها للأمة.
- ونشروا العلم، ثم انتشر في أصقاع الأرض.
- وتركوا قدوةً عمليةً خالدة للأجيال المتعاقبة من أبناء الأمة الإسلامية.

وتبقى سيرة سيدنا عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما) وأخلاقه ومواقفه ومناقبه نبراسا ومثالا مضيئا في تاريخ الإسلام، حيث اجتمعت فيه خصال الخير كلها: الإخلاص، التقوى، الدين، العلم، الورع، الحكمة، الرحمة، والإنسانية. وإن الأمة اليوم في أشد الحاجة إلى استحضار سيرة القدوات أمثاله والتأسي بخلقه وورعه وعلمه، ليظل منارًا يضيء طريق السالكين [٢٣].

قصة ملهمة.. ودرس بليغ
كراتين الصابون تكشف درسا في إشعال العقول

قد تسقط سمعة الشخص أو سمعة مؤسسته في لحظة، وتضيع الجهود التي بُنيت في سنوات أو عقود بسبب خطأ صغير.. وهنا تتجلى قيمة العقل إذا استُثمر، وكيف أن فكرة بسيطة من عامل قد تُغني عن مئات الآلاف...

تكمن القصة في أن رجلا يمتلك مصنعًا كبيرًا للصابون، ذاع صيتُه بين الناس بجودة بضاعته وحُسن سمعته.

غير أن المشكلة بدأت حين اشتكى بعض التجار والعملاء من أن بعض الكراتين التي تخرج من خط الإنتاج تصل إليهم فارغة بين الكراتين الممتلئة بالصابون!.

تخيَّلوا: تاجرٌ يفتح الكرتونة، فإذا بها خالية تمامًا! فما أسرع ما انتشرت الأخبار، وإذا بسمعة الرجل التي بناها في سنوات طويلة تتعرض للانهيار في أيام معدودة.

(٢٣) لمزيد من المعلومات، حول سيرة سيدنا عبد لله بن عمر (رضي الله عنهما) يراجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، وابن سعد، الطبقات الكبرى، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، وابن كثير، البداية والنهاية، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، والمزي، تهذيب الكمال.

فزِع صاحب المصنع، وجمع الخبراء والمهندسين، يسألهم عن الحل. وبعد دراسة دقيقة لأبعاد المشكلة، تبيَّن أن سرعة خط الإنتاج هي السبب؛ إذ كانت بعض الكراتين تُغلَّف فارغة من شدة اندفاع العمليات. عندها قالوا: الحل يكمن في شراء جهاز يعمل بأشعة الليزر؛ لاكتشاف الكراتين الفارغة على السير واستبعادها، غير أن ثمنه باهظ يبلغ مائتي ألف جنيه!

جلس الرجل مذهولًا، يضع يده على رأسه، ويقول في حيرة: من أين لي بهذا المبلغ الضخم، وقد حلت عليّ المشكلات فجأة، وتعطلت البضاعة، وكادت السمعة أن تنهار؟

وبينما هو غارق في همّه، إذا بعاملٍ بسيطٍ يتقدم إليه قائلًا: "يا سيدي، أستطيع أن أحلّ هذه المشكلة بألف جنيه فقط!".

تعجب الحاضرون، بل سخر بعضهم قائلين: ألف جنيه؟! ونحن نتحدث عن ليزر وتقنية عالية!. فأجاب العامل بثقة: نعم.. بألف جنيه فقط. فقال له ماذا ستفعل؟ قال له لا تسألني عن ذلك بل انتظر النتيجة.

ولأن الرجل قد ضاقت به السبل، سلّمه المال، ليرى ما سيفعل. فجاء العامل بمروحة صغيرة، ووضعها وثبتها بحيث تطلق الهواء في اتجاه واحد على سير خط الإنتاج، فما إن مرت الكراتين حتى طارت الفارغة من تسلطيق الهواء، وبقيت الكراتين الممتلئة في مكانها. فإذا بالأزمة تُحلّ في لحظة، وبأبسط وسيلة! فهتف الجميع فرحين، ووقف صاحب المصنع مذهولًا أمام ذكاء هذا العامل.

أيها الأحبة، العبرة هنا عظيمة: المشكلة لم تكن في قلة المال، بل في عدم تشغيل العقول. ولو فكروا قليلًا لوجدوا أن الحل قد يكون أبسط مما يتصورون. قال الله تعالى، معاتبا الذين لا يُعملون عقولهم: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف: ١٧٩).

فأين نحن من استثمار هذه النعمة؟ كم من أزمات في بيوتنا، ومشكلاتنا في مجتمعاتنا، لو فكرنا فيها بعقول واعية، وبصيرة، لعالجناها بأيسر الوسائل، ولما احتجنا إلى التعقيد والمشقة والتكاليف الباهظة.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

فأين اللّه؟

قصة الراعي الذي أغناه اللّه في لحظة بكلمة صدق

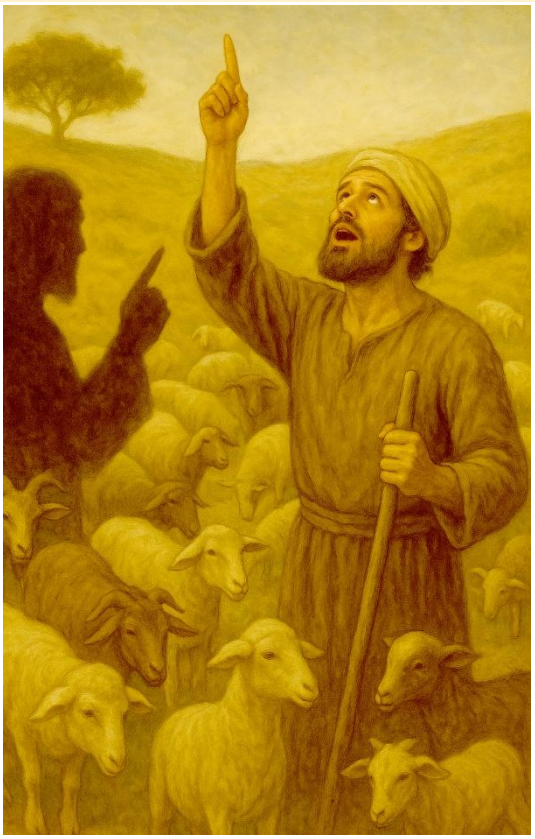

يروي البيهقى عن زيد بن أسلم: أن عبدَ الله بن عمر (رضى الله عنهما) مرَّ ذات يوم براعى غنم.

فقال له مختبرًا: هل من جَزَرة؟ أي: شاة تُجزَر وتُذبح للأكل.

فأجابه الراعى بكل أمانة: ليست لي، إنما هى لربها، أي ملك صاحبها الذي أعمل عنده.

فأراد ابن عمر أن يختبر إيمان الراعى ووازعه الداخلى وقوة إيمانه، فقال له: قل له أكلها الذئب!.

فإذا بالراعى، الفقير البسيط، يرفع رأسه ويقول كلمة هزَّت أركان القلوب وعروشها، قال: فأين الله؟!!

كلمة واحدة هزّت قلب ابن عمر، وكشفت عن المراقبة والإيمان الحقيقى في صدر هذا الراعى؛ فلم تغره فرصة الدنيا، ولم تدفعه شهوة البطن إلى خيانة الأمانة، بل كان يستحضر الله (تعالى) في كل حين.

عندها لم يتمالك ابن عمر نفسه، فأراد أن يُكافئ هذا المؤمن؛ فاشترى الغنم من صاحبها، ثم أعتق الراعى، ووهب له الغنم كلها.

وهكذا تحوّل راع بسيط إلى مالكٍ حر، بفضل كلمة صدق خرجت من قلب عامر بتقوى الله.

من عطاءات حديث النخلة

(خمسون مبدأ تربويا ملهما؛ لبناء الإنسان الصالح المصلح)

إن حديث النبى (ﷺ) وتشبيهه المسلم بالنخلة ليس مجرد تشبيه بلاغى، بل هو نموذج تربوي فريد ومفيد، يفيض بالمعاني والدلالات، ويرسم ملامح منهاج النبوة في التربية والتعليم.

لقد استخدم النبى (ﷺ) أساليب رائعة في التعليم تجعل المتعلم يفكر بدلاً من أن يردد فحسب.

فقد اعتمد على السؤال بدلاً من الإملاء؛ ليُشعل عقول الصحابة، ويستثير فيهم التفكير الاستشرافي من خلال توجيههم إلى البحث والمقارنة بين الأشجار، كما حفَّز التفكير الناقد ليوازنوا ويُقيّموا دقة الملاحظة، ويحرصوا على المشاركة الجماعية دون استثناء أو تمييز.

كما طبّق التربية بالصمت لتعليم أدب الاستماع، مع مراعاة أن السكوت أحيانًا يفوّت العلم، وأظهر أهمية إشراك الناشئة حتى صغار السن يمكنهم الفهم والإبداع.

إنها تربية عملية تجعل الصحابة يبدعون ويستوعبون، وهى ما ينقص كثيرًا من تعليمنا اليوم.

وإذا أمعن المربّي النظر في هذا الحديث الشريف، وجد فيه عشرات المبادئ التربوية التى تصلح لبناء الإنسان الصالح في كل زمان ومكان، منها:

أولًا: التربية للجميع بالسؤال والحوار والمشاركة

- التربية بالسؤال لا بالإملاء.
- إثارة التفكير الاستشرافي لدى المتعلم.
- تعليم التفكير الناقد وربط الجزئى بالكلى.
- ربط المعاني المجردة بالمحسوسات القريبة في البيئة المحيطة.
- إشراك الجميع في الحوار، مهما كان مستواهم أو عمرهم.
- احترام عقل السامع مهما كان صغيرًا أو كبيرًا.
- الصبر على إجابة المتعلمين وعدم استعجالهم.
- فتح المجال لاختلاف الآراء والتعبير عنها.
- إشعار الجميع بقيمة مشاركتهم، فلكل صوت أثر.
- جعل المجالس العلمية مجالًا للتدريب العقلى لا مجرد التلقين.
- عدم الاستهانة أو السخرية من أي رأي يصدر من أي أحد.

ونتعلم مما سبق أنه في حياتنا اليومية، سواء في الأسرة أو المدرسة أو مكان العمل، لابد من إشراك الآخرين في الحوار والاستماع لهم وبما يعزز الثقة بالنفس ويحفز على الإبداع.

ثانيا: التربية بالقيم الأخلاقية والتربوية

- ترسيخ قيمة الحياء بين يدي الكبار.
- بيان أن الحياء لا ينبغى أن يمنع من قول الحق.
- الاعتراف بفضل الشخص المتميز ولو كان صغيرًا.
- احترام التميز مهما كان صاحبه باعتباره رزقا من الله، وليس حكرًا على الكبار.
- توضيح أن للعلم مراتب وفتوحات.
- الاستفادة من المواقف اليومية في التعليم.
- الحث على التفكير الجماعى.
- تعزيز الثقة بالنفس عند الناشئة.
- ترك المتعلم يكتشف بنفسه ويجتهد.
- إعلاء قيمة الأدب مع الشيوخ والتواضع أمامهم.

ويندرج تحت هذا المنهج أيضًا: (الاحترام المتبادل – إتاحة المجال للتعلم الذاتي– الاعتراف بجهود الآخرين،....) لتصبح هذه العناصر بمثابة قيم تربوية عملية وملهمة يمكن غرسها وتطبيقها في أي مجتمع أو مؤسسة تعليمية.

ثالثا: التربية بالقدوة والتعلم المستدام

- أن المؤمن ينبغى أن يكون كالنخلة في ثباته.
- أن المؤمن نافع للناس في كل أحواله.
- أن دوام الخير من صفات المؤمن.
- أن الثبات على الحق سمة المؤمن.
- أن الحياء زينة المؤمن ويجب أن يكون قدوة للآخرين.
- أن المربي الناجح هو القدوة الطيبة الذي يزرع ولا يفرض.
- أن العلم بلا أخلاق لا قيمة له.

- أن التربية تحتاج إلى رفق وصبر ورحمة وجهد.
- المؤمنُ ينبغى أن يكون في تعلُّم دائم، وعطاءٍ متواصل.
- أن النفع الحقيقى هو ما يبقى أثره.

ولا ريب في أن الثبات على المبادئ، والقدوة الحسنة، والعمل الصالح المستمر، كلها تُسهم في بناء مجتمع متماسك ومؤثر.

رابعا: التربية بالتطبيق العملي وربط العلم بالواقع

- ✓ أن التعليم النافع هو ما يرتبط بالواقع الحياتي ويسهم في تغيير السلوك للأفضل.
- ✓ أن الله يفتح على عباده بما يشاء، وثمرة العلم العمل به وزرعه في الحياة.
- ✓ أن المؤمن لا ييأس أبدا، فعطاء الله لا ينقطع شريطة السعى في سبيله.
- ✓ أن الأسلوب النبوي يجمع بين التشويق والتدريب.
- ✓ أن القيم التربوية أساس بناء الأمة.
- ✓ أن التربية بالأمثلة الحية أبلغ من مجرد الكلام.
- ✓ استخدام الأمثلة الحسية في التربية في غاية الأهمية لترسيخ التعليم وربطه بالخبرات الحسية.
- ✓ المقارنة بين الأشياء لتقوية ملكة التمييز.
- ✓ أن التربية تشمل العقل والروح معًا.
- ✓ أن الفهم الصحيح يرفع قدر الإنسان.

وبالتالي فإن التعليم العملى، وتجربة الحياة، واستخدام الأمثلة اليومية تجعل المفاهيم أسهل للفهم وأكثر رسوخًا في النفوس.

خامسا: التربية بالرفق والرحمة

- الرفق بالمتعلمين والمتلقين وعدم تعنيفهم عند الخطأ.
- أن المؤمن قدوة في عطائه الدائم.
- أن الحب والدعم يرسخان التعلم.
- توجيه التعلم بلطف دون إجبار أو غلظة.
- إشعار المتعلمين بقيمتهم وأهميتهم والاهتمام المستدام بكل واحد منهم.
- إشراك الأطفال والشباب بطريقة جذابة تربطهم بالعلم.
- تعليم القيم بالممارسة والنشاط واللعب والمحاكاة.
- إظهار الرحمة والحنان مع الضعفاء والصغار.
- إشعار الجميع بالأمان والتقدير أثناء التعلم.
- كل حديث للنبى (ﷺ) يحمل نورًا متجددًا يصلح لكل زمان ومكان.

وهكذا فإن الحب، والرفق، والتشجيع، كلها أساليب تثري التعلم وتجعل من المدرسة أو البيت أو مكان العمل بيئة إيجابية تحفز على النمو الشخصى والسلوكى.

كيف نستفيد من الدروس والعطاءات التربوية والأخلاقية لحديث تشبيه المسلم بالنخلة في واقعنا المعاصر؟

يظل حديث تشبيه المسلم بالنخلة مَعلمًا تربويا ملهمًا للأمة، وكأنه مدرسة متجددة العطاء والإمداد، نستضيء بها في تربية الأجيال، وبناء إنسان معاصر صالح ثابت ونافع.

فإذا نظرنا إلى عطاء حديث النخلة وجدناه يغرس فينا قيمة الحياء المقرون بالشجاعة؛ نُعلِّمه لأولادنا في صورة تأدب مع الكبار، دون أن يمنعهم ذلك من المشاركة الفاعلة وإبداء الرأي.

كما يرشدنا الحديث إلى التربية بمنهاج النبوة، الذي يقوم على السؤال والحوار لا على الإملاء والتلقين؛ فنفتح أمام الطفل باب التفكير والاستنباط، ونُعوّده أن يستخدم عقله بوعى ومسؤولية، فنغرس فيه حب النقد البنّاء والبحث عن الحقيقة.

وحين يرى الناشئ أن جذور النخلة ثابتة في الأرض، وأغصانها سامقة في السماء، يتعلم أن الثبات على الدين لا ينفصل عن العطاء للناس، فيثبت على المبادئ، ويظل نافعًا لغيره بالعلم والعمل والخدمة.

ثم إن حديث النخلة يعلمنا أن العلم نور من الله، نطلبه بإخلاص وخشوع وتضرع، لا بغرور أو تعالٍ، فكما تعطى النخلة ثمرها بلا منّ ولا استعلاء، كذلك ينبغى لطالب العلم أن يفيض علمه على الناس بتواضع ورحمة.

وفي النهاية، يمكن لكل واحد منا أن يكون نخلة في محيطه: ثابتًا في قيمه، معطاءً في خيره، نافعًا لأهله ومجتمعه، لا ينقطع عطاؤه ولا يسقط فضله، لتظل الأمة مستضيئة بثمار أولادها كما تفرح الأرض بأشجار النخيل.

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d